

الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أما بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبد وتحفة المتزهد..

٧- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : " يا رسول الله أي الصدقة أعظم قال : أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان " متفق عليه]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم "

هذا سؤال عن الصدقة وأيها أعظم وقد ذكرت غير مرة أن مثل هذه السؤالات المتكررة على النبي صلى الله عليه وسلم كلها تدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم على فضائل الأعمال ومعرفتها ، معرفة فضائلها وأي الأعمال أفضل وأحب وأيها أحب إلى الله رغبة منهم في الاستكثار من الخيرات والاعتناء في تحصيل الأعمال ونيل فضائلها وهذا مما يؤكد أهمية دراسة فضائل الأعمال والوقوف عليها ومعرفة الأحاديث الواردة فيها الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون حافزاً للمرء على العناية بالعبادة والحرص على العمل و الاهتمام بالتقرب إلى الله

قال " يا رسول الله أي الصدقة أعظم " أي أعظم أجراً ومثوبةً عند الله

قال " أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى "

يعني وأنت على هذه الحال تخرج الصدقة وتبذل النفقة والمال حال كونك صحيح ،
والانسان حال صحته وعافيته يقع في نفسه شح في المال وهذا في الغالب من حال الناس
لماذا ؟ لأنه يخشى الفقر ويأمل الغنى فما دام أن الصحة موجودة يخشى الفقر

فلهذا إذا أراد أن يخرج القليل أو الكثير بدأ يحسب الحسابات وكم تؤثر عليه ، لأنه يأمل
الغنى ونفسه تطمع في الغنى وتطمع في وجود المال عنده ، فيقع في نفسه شح بسبب الصحة
التي عنده

بخلاف إذا مرض فإن مرضه يثمر فيه زهداً في المال ولا سيما إذا اشتد فيه المرض ، فالصحة
قرينها في الغالب الشح في المال والمرض قرينه في الغالب عدم الاهتمام بالمال .

ومن القصص التي تروى في هذا الباب وهي كثيرة وفي بعض القصص عبرة ،

يذكر أحد الأفاضل أنه أتى إلى أحد الأثرياء وعنده الأموال الكثيرة فعرض عليه بناء مسجد
وهو في حال مرضه فوافق على بنائه وقال هيئ المخططات لهذا المسجد وأنا متكفل ببنائه
فاشغل الفاضل بتهيئة هذه المخططات للمسجد ولما كملها وعاد للرجل فاذا به خرج من
المستشفى ، عوفي فأتاه في بيته فذكر له المشروع الذي تعهد به ، قال : والله سامحنا عندنا
التزامات وأمور كثيرة ما نستطيع ، يقول الفاضل ثم فيما بعد مرض مرة أخرى فأتيته في
المستشفى فقال هيئ لي المخططات وأنا أتولى هذا الأمر يقول فذهبت لأهيئها له ثم في أثناء
تهيئتها مات قبل أن تصل إليه - وفي هذا الباب قصص كثيرة فيها عبرة والسعيد من اتعظ بغيره -

فالحاصل أن حال الصحة يحصل فيها شح في المال والسبب كما جاء في الحديث تخشى
الفقر وتأمل الغنى لكن إذا كان مريضاً ولا سيما إذا اشتد المرض لا يبالي يخرج من الأموال،
لكن أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت على هذه الحال صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل
الغنى يعني تأمل أن يكثر مالك وتُروى " وتأمل البقاء " -وهذه الرواية في صحيح مسلم -
ولعلها أولى

لأن " تخشى الفقر " متضمنة المعنى الثاني ، وهو تأمل الغنى " فتخشى الفقر وتأمل البقاء " أي بالعافية التي عندك والصحة تأمل أن تبقى طويلاً لكن المريض يحس بمرضه أنه شارف على مفارقة الحياة فيبدأ يخرج من ماله لفلان كذا ولفلان كذا

ثم قال " حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان "

أي لفلان كذا صدقة ولفلان كذا صدقة يخرج من المال في حال المرض

قوله " حتى اذا بلغت الحلقوم " ليس المراد بـ " بلغت " أي أنه وصل إلى درجة الغرغرة وخروج النفس ، لأن في مثل هذه الحال لا تكون تصرفات المرء من عطاء وهبة نافذة وماضية وإنما المراد بقوله " حتى اذا بلغت الحلقوم " : أي قاربت

وقوله هذا يفيد أن روح المرء في خروجها تبدأ تخرج من أسفل بدنه ولهذا أول ما يموت من الانسان أسفله إلى أن تبلغ روحه الحلقوم في نزعها وخروجها من بدنه قال ﴿ حتى اذا بلغت الحلقوم ﴾ ولهذا إذا بلغت الحلقوم يغرغر الانسان بها ثم يفارق هذه الحياة

قال " حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ألا وقد كان لفلان "

" وقد كان لفلان " لأنه بمفارقتة الحياة لم تبقى أمواله له لأنه فارق الحياة بخلاف الصحيح الذي ينفق وهو صحيح فإن أمره مختلف عن هذا الذي يخرج في لحظاته الأخيرة من عمره المال بعد قليل هو آيل إلى غيره وصائر لغيره ،

ولهذا قال " وقد كان لفلان " لأن مال المرء له في حياته وإذا مات لم يصبح مالاً له وإنما يصبح مالاً للورثة ولهذا يعدّ المرء في هذه الحياة ولاسيما الجامع له والمكتنز له يعد خازناً وحافظاً وظّف نفسه في هذه الحياة أن يحفظ المال ويجمعه للورثة الذين يقتسمون المال من بعده ، بخلاف المنفق ، المنفق: هو الذي أحسن إلى نفسه إحساناً عظيماً لأنه قدّم لنفسه يقول ابن ادم مالي مالي وهل مالك إلا ما أكلت فأبليت ولبست فأفانيت أو تصدقت فأبقيت هذا مال الانسان وسواه هو لورثته وليس له .

٨- [وروى أبو أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى " أخرجه مسلم ،

واليد العليا : هي المنفقة كذا جاء مفسراً في الحديث ،

وقال الخطابي : روي في بعض الحديث أنها المتعفة والسفلى السائلة ،

وروي عن الحسن أنه الممسكة المانعة

وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة لأنها نائبة عن الله تعالى

وما جاء في الحديث الصحيح أولى]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك " بفتح الهمزة في قوله " أن " والمراد بالفضل أي ما فضل عن حاجتك وحاجة أولادك وأهل بيتك وما زاد عن الحاجة أن تبذله خير لك ،

لأنه يبقى لك ذخراً وأجرأ وثواباً عظيماً يوم تلقى الله وبركة عليك في هذه الحياة وما نقصت صدقة من مال ،

قال " وأن تمسكه شر لك "

أما إن كان إمساكه إمساك لما أوجب الله عليه بذله وإنفاقه فهو شر له ؛ لأنه يكون بذلك آثماً . وأما إن كان الذي أمسكه من باب المندوبات بذله وإخراجه ؛ فهو شر له لأنه أبقاه عنده شاغلاً له مع غير حاجة له إليه ، فهو شر له في كلتا الحالتين ،

قال " ولا تلام على كفاف "

يعني لا يلام المرء على إمساكه لما يكفيه وما هو محتاج إليه ، لا يلام على إمساكه من حاجاته ما فيه كفايته وما فيه حاجته وحاجة أهل بيته وولده لا يلام على كفاف وإنما اللوم في الفضل الزائد الذي لا حاجة للإنسان فيه

قال " وابدأ بمن تعول "

أي من أهل وولد والنفقة على هؤلاء واجبة فيبدأ بهم والنفقة عليهم أولى من غيرهم ومقدمة على غيرهم

قال " واليد العليا خير من اليد السفلى "

العلو هنا : علو الفضل والمكانة والنبل والقدر في البذل والعطاء والسخاء ،

ما اليد العليا واليد السفلى ؟ النبي صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بنفسه كما في الصحيحين وإذا جاء نهر الله بطل نهر عمر ، لا يحتاج إلى تفسير مفسر ولا بيان مبين وإنما يقتصر على ما بينه عليه الصلاة والسلام ، فاليد العليا واليد السفلى بينها النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى تكلف وإنما يقتصر على ما بينه صلوات الله وسلامه عليه

والمصنف رحمه الله أشار إلى ذلك قال **" العليا هي المنفقة والسفلى هي الآخذة كذا جاء مفسراً في الحديث "**

والحديث في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **" اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى الآخذة "** ففسر النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالعليا والسفلى فلا يحتاج بعد بيانه إلى بيان أحد

قال المصنف "وقال الخطابي : روي في بعض الحديث أنها المتعفة والسفلى السائلة"

يعني جاء في بعض روايات الحديث بدل قوله **" واليد العليا المنفقة "**

جاء في بعض الروايات **" واليد العليا المتعفة والسفلى هي الآخذة "** ، لكن الأولى والأصح هي الرواية المتقدمة وهي في الصحيحين **" واليد العليا هي المنفقة "**

قال " وروي عن الحسن أنها المسكة المانعة "

يعني السفلى هي المسكة المانعة

قال " وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة "

يعني اليد التي تمتد للناس تسألهم وتستجدي منهم هي اليد العليا في فهم هؤلاء ، وهذا التفسير لائق تماماً بحال هؤلاء لأن من الأمور التي يبنى عليها التصوف تعطيل الأسباب والتواكل الذي يورث في فاعله احتياجه إلى الناس والتسول حتى إن التسول في بعض طرق التصوف عُدّ من الطرق الموصلة إلى الله التي بزعمهم يكون فيها كسر للقلب وإيجاد الافتقار فيه وهذا كله من الباطل المتراكم الناشئ من البعد عن هدي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه

قال " وذهبت المتصوفة إلى أن اليد العليا هي الآخذة " وهذا كلام باطل بجانب للحق "لأنها نائبة عن الله تعالى" لانه جاء في الحديث " أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد المتصدق عليه " وهذا من الفهم الأعوج الفهم المنحرف لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى تقع في يد الله على المعنى السابق مرّ معنا في صدر هذه الفضائل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا يتصدق أحدكم بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربّيها له كما يربي أحدكم فلّؤه "

قال المصنف رحمه الله " وما جاء في الحديث الصحيح أولى "

يعني هذه الأقوال أشار إليه مجرد إشارة أما الصحيح هو ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي الآخذة أو السائلة "

٩- [وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " على كل مسلم صدقة " فقالوا : يا رسول الله فمن لم يجد ، قال : " يعين ذا الحاجة الملهوف " قالوا : فإن لم يجد ، قال : " فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة " متفق عليه]

الشرح..

ثم أورد هذا الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " على كل مسلم صدقة " أي كل يوم - كما مر معنا -

" على كل سلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع عليه الشمس " فهذه صدقة مطلوبة من المسلم كل يوم بحيث يكون له في كل يوم حظ ونصيب من الصدقة

قال " فقالوا يا رسول الله فمن لم يجد " يعني يمر عليه أيام لا يجد ما يتصدق به وهذا السؤال مبني على حرصهم رضي الله عنهم على الخير

قال "يعين ذا الحاجة الملهوف " الملهوف: المضطر المحتاج إلى من يعينه وهذا يتناول كل أنواع الإعانة لأصحاب الضرورات والمحتاجون إلى المعاونة والمساعدة والدلالة والإرشاد ونصح وتوجيه

قال " قالوا : فإن لم يجد " يعني لم يجد ذا حاجة ليعينه ماذا يصنع

قال " فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة "

يعمل المعروف من ذكر وحمد وتسبيح وقراءة للقرآن وصلاة ودعاء وغير ذلك وليمسك عن الشر يعني يكف عن المعاصي والآثام يمنع نفسه من الوقوع فيها قال " فإنها له صدقة " أي صدقة منه على نفسه بفعله للمعروف وتجنبه للمعاصي والمنكرات .

١٠- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأرجو أن تكون منهم " متفق عليه ،

قوله " من أنفق زوجين " قال الحسن البصري يعني اثنين من كل شيء : درهمين ، دينارين ، ثوبين

وقال غيره يريد شيئين درهماً وديناراً درهماً وثوباً ، خفأً ولجاماً ونحو هذا ،

قال الباجيّ يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين . [

الشرح..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في الحث على الصدقة والترغيب فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من أنفق زوجين في سبيل الله "

" زوجين " نقل المصنف رحمه الله تفسيرات عن أهل العلم عن المراد بالزوجين فقيل : الشيئين من نوع واحد مثل درهمين أو دينارين أو شاتين أو ثوبين أو بعيرين وهكذا،

وقيل المراد بالزوجين : شيئين من نوعين مختلفين مثل درهم ودينار ، ثوب وعمامة أو لجام وخف أو شاة وبعير وهكذا

وقيل المراد بذلك: العبادات مثل ركعتين أو صيام يومين أو صدقتين وهكذا ،

قال " من أنفق زوجين في سبيل الله تعالى نودي في الجنة : يا عبد الله هذا خير " " هذا " إشارة إلى ما بذله و قدّمه من الأعمال الصالحة في الحياة الدنيا

قال " فمن كان من أهل الصلاة يُدعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان "

وهذا فيه أن الأعمال الصالحة ولا سيما مباني الدين " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً " فهذه الأعمال موجبات لدخول الجنة حتى إن للجنة أبواب بأسماء هذه الأعمال ، باب الصلاة وباب الزكاة وباب الجهاد

قال " ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان "

لم يسمَ باب الصيام مثل باب الصلاة والصدقة والجهاد لان الصائم عطّش نفسه وصبر على العطش طلباً لثواب ربه والفوز بمرضاته والجزاء من جنس العمل ولهذا يدخل من هذا الباب -

باب الريان - من الري إشعاراً أنه لا عطش ،وانتهى العطش على الداخلين ولا حصول له مطلقاً

قال " قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه "

وهو سباق الأمة إلى الخيرات وما سبق رضي الله عنه ، وهو خير الأمة ؛ أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلها ، بل إنه رضي الله عنه خير الناس بعد النبيين من جميع الأمم ، وهذا المعنى دلّ عليه القرآن والسنة أما في القرآن ففي قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وهو رضي الله عنه خير هذه الأمة ، أما من السنة قال النبي صلى الله عليه وسلم " أبو بكر وعمر سيدا كُھول أهل الجنة من الأولين والآخرين عدا النبيين " ليس من هذه الأمة بل من الأمم كلها

فمنزلة أبو بكر رضي الله عنه تلي الأنبياء منزلة وفضلاً في كل الأمم فهو رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم **فقال " يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها "**

يعني يدعى من جميع الأبواب باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة وباب الريان ، سأل رضي الله عنه بناء على ما قام فيه من حرص عظيم على المسابقة في الخيرات والمصارعة إليها والمنافسة في الصالحات رضي الله عنه

" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأرجو أن تكون منهم "

وهذه منقبة لأبي بكر لم تكن لغيره رضي الله عنه ، ولهذا لما أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث في - منهاج السنة وهو الكتاب الذي ردّ فيه على أباطيل الرافضة وأكاذيبهم - لما أورد هذا الحديث في فضائل الصديق رضي الله عنه قال " هذه لم تكن لغيره رضي الله عنه " وهذه منقبة عظيمة لصديق الأمة رضي الله عنه وشاهد بين على عظيم مسابقته للخيرات وإيمانه وفعله للصالحات ، ومع هذه الفضائل العظمى والمناقب الكبرى لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه إلا أن الروافض أخزاهم الله يعدّونه شر الناس بل يعدّونه في بعض كتبهم شر من إبليس والعياذ بالله ، وهذا من أعظم الخذلان وانتكاس القلوب وزيفها وضلالها وكيف يصل الأمر بالإنسان إلى هذه الحال

المزرية ، وإذا نيل من صديق الأمة أي خير يبقى في من نال منه ! لا والله لا خير في من نال من صديق الأمة رضي الله عنه ،

والطعن فيه رضي الله عنه وفي غيره من الصحابة رضي الله عنهم طعن في الدين لأن هؤلاء هم رجال الدين وحملته أهل الفضائل العظيمة والمناقب الجليلة ، ولهذا من يطعن فيهم لم يعرف الاسلام ، كيف يعرف الاسلام من طعن في حملته ونقلته للأمة رضي الله عنهم ولهذا قال الامام أبو زرعة الرازي رحمه الله : " اذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعلموا أنه زنديق لأن الدين حق والقرآن حق وإنما أدى - يعني نقل إلينا ذلك - إلينا ذلك الصحابة فهؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا وهم بالجرح أولى فهم زنادقة "

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.